Année No. 770

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi — 5 — 4 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٧٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٥ أبريل سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصـــــة فتـــــاة

— ٧ —

يوم السبت ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٥ :

ظلت الفتاة أسبوعين بعد لقائنا فى الكنتننتال تتردد فيهما على مكتبى ، فلا تجد الفرصة مواتية لتقول مثل ما كانت تقول ؛ ولا الجلسة خاصة لتسمع مثل ما كانت تسمع . ثم انقطع عنى عيانها وخبرها فجأة ، فلم أعد أراها فى المكتب ، ولا أسمعها فى التليفون ، ولا أقرأها فى البريد ! فملأت هـذا الانقطاع بما يجوز من العلل فى مثل هذه الحال ، ولكنها لم تسد أن تكون ظنونا لا يطمئن عليها البال :

هل عادت إلى القرية ؟ ولكن لماذا لم تودعنى قبل سفرها ؟ ولماذا لم تخبرنى بعودتها وهى تعلم أنى أسر بخبرها ؟

هل أصابها مرض ألزمها الفراش ؟ ولكنها مرضت قبل ذلك فلم يمنعها المرض أن تبعث إلىّ برسالتها مرة وبرسولتها أخرى .

هل قطعت بينها وبينى الأسباب ؟ ولكنها قنعت منى بالسبب الضعيف الذى لا يربط ، فلا ينفعها أن تقطعه ، ولا يضرها أن تصله . إذن ما عسى أن تكون العلة الصحيحة لانقطاع خبرها عن على هذا الشهر كله ؟

كنت أدير فى خاطرى هذا السؤال حين ألقى إلىّ ال... فى مساء هذا اليوم كتاباً ورقه كذلك الورق ، وخطه ك... الخط ؛ ولكن أسلوبه مختلف وإمضاءه مغاير ! مَن (زو... هذه التى تكتب إلىّ بهذا الطول وتخاطبنى بهذه اللهجة ؟ ع... بعد ما قرأت أنها ابنة أختها ، وأنها تقص علىّ فى هذا الـ... مأساة خالتها ، وما غاب عنى من عقدة هذه المأساة ونهايتها .

سألخص كتابها فى صفحة هذا اليوم وهو التاسع والعشـ... من سبتمبر ، لأرفه عن نفسى المحزونة بهذا الأسلوب الطري... ولأكل به هذه القصة التى بدأت فى الربيع وانتهت فى الخر...

قالت الآنسة زوزو بما معناه : أكتب إليك يا سيدى ول... غريبة عن بالك ، فإنك سمعت بى ولا شك من خالتى الـ... (س) ، وقد كنت رسولتها إليك فى ذات يوم لو تذ... ولطالما حدثتنى عن أثرك فى نفسها فأشتهى أن أراك ، وخو... من رأيك فى مثلها فأستحى أن ترانى . ولولا أن فى ذمتى ... لخالتى ورفيقتى أن أقص عليك عاقبة أمرها لما أبحت لنفسى أبكيك بذكر حادثتها الأليمة وخاتمتها الحزنة !

لقد لقيها الذئب فعلا يا سيدى ! لقيها فى أصيل يوم من أغسطس الأخيرة ، وكان الحر فيـه يزهق النفوس ويضـ... الأنفاس ؛ فجلسنا أنا وهى فى (سان سوسى) بميدان الـ... نستروح نسيم النيل ونستنشى عبير الرياض . وكان الذئب يج... إلى المنضدة التى تقابلنا فى زى شاب وضىء الطلعة ظريف الهيـ... فخالسَنا النظر وخالسناه ، وأشار أن يجالسنا فجالسناه . و...

من فحوى كلامه أنه محرر في إحدى جرائد الصباح ، فزويت وجهي عنه لأنه لم يكن من الصنف الذي أتعاطاه . ولكنه كان حسن الحديث حاضر البديهة بارع النكتة لطيف الدعابة ، فاستخفّت خالتي ظله وصمت إليه . وقضينا في منافلة الطرائف والأسمار أربع ساعات كانت أربع سنوات في رفع الكلفة بينها وبينه . ثم عدنا مع الفتى في الترام إلى المنيرة ، وهنالك ودعناه وواعدناه . وباتت خالتي على هوى جديد لم تذق مثله منذ قدمت القاهرة ونازعت الندمان كؤوس الحب !

تجدد بعد ذلك الموعد ، وتعدد اللقاء ، وتأكد الود ، حتى أصبحت تخرج وحدها إليه ، فيقضيان أواخر النهار وأوائل الليل متنقلين في القاهرة بين مقاهيها وملاهيها ، وبين أرباضها ورياضها ، فيتساهمان اللهو ، ويتقاسمان الصفو ، والشاب يبذل لها من الوعود ، مقدار ما تبذل له من النقود ؛ فيزعم أن أحد الأحزاب المعارضة سينشئ له صحيفة ، ويشترى للصحيفة مطبعة ، ويبنى للمطبعة داراً ؛ وأن رئيس الحكومة قد بلغه ذلك ، فهو يساومه على قلمه الحوّل القلّب ، وعقله الخرّاج الولّاج ، بورود ذهبي يتفجر في بيته كل شهر من خزانة الداخلية وخزانة الحزب . وهو على يقين جازم من أحد الوردين إن لم يكن من كليهما ؛ ولذلك أمر سماسرة البيوت أن يبحثوا له عن دارة في المعادي ، ووكلاء السيارات أن يسجلوا اسمه على سيارة (بويك) !

ما ذا تصنع خالتي وقد جمع الله لها كل أمانيها في هذا الصحفي الشاب ! حب مكنون يملأ شباب القلب ، ومنطق معسول يلائم هوى النفس ، ومستقبل مأمون يضمن رفاهية العيش ! أخلدت إليه بالثقة ، ورفّت عليه بالأنس ، وقبلت أن تزوره في غرفته الخاصة على سطح من سطوح المنازل الحقيرة ! وهنالك رأت أن ثروة الشاب لا تزيد على بذلة نظيفة فوق جسمه ، ولسان ذهبي في فمه ، وطمع أشعبي في قلبه ! ولكن الهوى يعمي ويصم ، والشباب يغوى ويضل ، والشراب يغرى ويجرى . فباتت لأول مرة في بيت غير بيتها ، من دون إيذان لرفيقتها ولا استئذان من أختها !

وفي الصباح أفاقت المسكينة من سكرة الهوى فأحست بعقرة الذئب ! فقالت له وهي تمزج الدم بالدمع : ما علاج هذا الأمر وأمي لا تزال على حفاظ أهل الصعيد : يفرق بين الحرية والإباحة ، وبين المدنية والتبرج ؛ فهو يسامح إلا في الشرف ، ويغضى إلا من العرض ؟

فأجابها الفتى باسماً : العلاج الزواج ! وكان قد علم من قبل أن لها مالا مدخراً وأرضاً مستغلّة ؛ فالزواج له فرصة ، ولكنه لخالتي قصة . فقالت له : إن أسرتنا تشترط في الزواج التكافؤ في الطبقة والثروة ؛ وحالك على ما أرى لا تطمعك في رضا أهلي . فقال لها الفتى في إصرار وقوة : المهم أن نستر بالزواج جريمة العرض ؛ أما جريمة الفقر فجريرتها هينة ، وعقوبتها محتملة . وسنجابه أخاك بالأمر الواقع فيثور قليلا ثم يسكن ، ويغضب طويلا ثم يرضى .

وصارحت الأخت أختها بالحادث والحديث ؛ فباركت أمي الخطبة وأقرت الزواج . واتفقت الخالة والعروسان على ليلة العقد وحفلة الزفاف . وتسامع الناس بالخطبة المفاجئة والقران الخفي ، فظنوا الظنون ، وتقولوا الأقاويل ؛ وأبرق بعضهم بهذه الشائعات إلى خالي فلم يبت إلا في القاهرة .

تطلب مني الحال إذا طلبتَ أن أصف لك كيف دخل خالي الصالون فوجد المأذون وبيده الدفتر ، وأبي وبإزائه العريس ، وأمي وبقربها العروس ، والبواب وبجانبه الشاهد الآخر ، وهؤلاء جميعاً تعلوهم السكون وقتام الوجوم ؛ فكأنهم يودعون مريضاً يحتضَر ، أو يشيعون ميتاً يدفن ... تصور أنت بخيالك هذا المنظر الأليم على أبشع ما يكون المجلس عبوساً وجهامة ، وفي أشنع ما يكون الجلوس خزياً وندامة .

سلم خالي إيماء باليد ثم جلس وعيناه تلتهبان من الحنق ، وشفتاه ترجفان من الغضب ، والتفت إلى أمي وقال لها بصوت فيه روعة القضاء ورهبة القدر : متى كنا يا فلانة نزوج بناتنا في مثل هذا المكان ، ومن مثل هذا الإنسان ، في غيبة من الأهل وخفية من الناس ؟ لقد سبقتمونا إلى (المدنية) فلم يعُد رأينا متفقاً في معنى الشرف ، ولا شعورنا متحداً في إدراك الكرامة !! ثم لحظ العروس البائسة وقال لها بلهجة صارمة : إذهبي يا فاجرة فأعدي حقيبتك وسأنتظرك أمام البيت .

(البقية على صفحة ٤٠٧)